الطريق الى تل الزعتر !

هاني مندس

الدمار والموت والدماء ، الجـــوع والعطش والخوف ، الصمود والبطولة والشجاعة ، المأساة والعظمة ، الرهبة والحزن والفرح ، القلق المضني وصبر الفلاحين في قرى الجليل وسهل الحولة، الاسئلة المتزاحمة والشكوك والترقـب والاصرار .. كل المزيج المعقد مـن الخواطر والمشاعر الانسانية المتضاربة في لحظة باتت فيها الحيـاة او الموت محض صدفة .. العنفوان والوطـن والروح الكفاحية العالية لشعب عظيم .. الانتصار والهزيمة .. مشاهد حية من فلسطين ١٩٤٨ ، من عمان ١٩٧٠ .. لكن يقظة النار والجرح والتحدي الفولاذي ! .. كلها تجمعت ، ودفعـة واحدة ، في بقعة صغيرة جدا :
تل الزعـتر !

اية كلمات معبرة حين اختزلتيـامخيم تل الزعتر كل مشاعر وقيـم الانسانية والحياة .. والتراث النضالي الطويل لشعب مكافح صغير ؟ الكلمات تلهث وراء تفاصيلك .. واخبارك . .وانت واقف بمهابة وشمـوخ فوق انقاضك . .منهمك في اعمالـك ..نطاردك لكي نلحق بك ، لنكون بعض مستواك . لكنك تهملنا بقسوة، فنشعر بالانهاك والحرج والذنب .. كاننا لـم نتعودك .. وكأنك تسخر منا ! فمهمـا نفعل هنا ، لسنا في مستواك.. ما دمنا لم نستطع الوصول اليك .. !

ما يقارب ستين الف قذيفة ، خـلال ثلاثة وخمسين يوما ، وفي اليوم الاول للهجـوم الفاشـي تساقـط ما يزيـد عن ثمانية الاف قذيفة دفعة واحدة .. آلاف الجرحى وحوالي ٣ آلاف شهيد ،والجوع والعطش يحصد اطفالـك ، والماء الممزوج بالدماء ما طعمه يا تل الزعتر ؟

ما رقم الهجوم الاخير ؟ ١٦ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٧٠ ؟ ما علاقة علم الحساب المدرسي بعلم الحسـاب السياسي يا تل الزعتر ؟ ! انك تجيـد الاجابة تماما .. لقد علمتنا ان علـم السياسة ، علم الثورة ، يبدأ من تعلـم الحساب السياسـي ! .. التلاميذ يجمعون اعداد البرتقال والتفاح ، اما